

الموعظة الثامنة

حَقِيقَةُ الرِّزْقِ

هدف الموعظة

بيان حقيقة الرزق في الرؤية الإسلامية، وعلاقته بالسعي.

محاور الموعظة

1. الرزق مادّي ومعنوي
2. بين الرزق والسعي
3. تقسيم الرزق

تصدير الموعظة

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾¹.

¹ سورة الأعراف، الآية 96.

تمهيد

من أهمّ الشؤون التي تشغل بال الإنسان، هي الرزق: كيف يستجلبه، وكيف يكون من نصيبه... وكثيرٌ من الناس يقع في دوامة الشكّ والسخط أحياناً؛ لأنّ رزقه قليلٌ بزعمه، وهذه الشبهة في أغلب الأحيان، ناتجة عن الجهل بحقيقة الرزق. فما هو الرزق؟ وما هي حقيقته؟

الرزق ماديٌّ ومعنويٌّ

الرزق في اللغة: «الرَّزْقُ يُقَالُ لِلْعَطَاءِ الْجَارِي تَارَةً، دَنِيوِيًّا كَانَ أَمْ آخِرَوِيًّا، وَلِلنَّصِيبِ تَارَةً، وَلِمَا يَصِلُ إِلَى الْجُوفِ وَيَتَغَدَّى بِهِ تَارَةً»¹. وفي القرآن، استُعْمِلَ الرزقُ في الأبعاد المعنوية، كقوله - تعالى -: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾²، باعتبار أنّه من الواضح أنّ رزق الشهداء في عالم البرزخ هو من المواهب المعنوية التي يصعب علينا إدراكها، وليس من الأمور المادية التي نعتاش عليها³. ويرى العدليّة أنّ الرزق هو ما كان حلالاً طيباً، باعتبار أنّ الرزق منسوبٌ إلى الله، والله لا يفعل القبيح، مقابل المدرسة الأشعرية، التي ترى أنّ الرزق أعَمّ من الحلال والحرام⁴.

وبناءً على هذه المعرفة بحقيقة الرزق، تنتفي التساؤلات عن سبب رزق الله للأغنياء؛ لأنّ هذا

¹ الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق صفوان عدنان داوودي، طليعة النور، لام، 1427هـ، ط2، ص351.

² سورة آل عمران، الآية 169.

³ راجع: الشيرازي، الشيخ ناصر مكارم، الأمتل في تفسير كتاب الله المنزل، مدرسة الإمام عليّ بن أبي طالب، إيران - قم، 1426هـ، ط1، ج6، ص18.

⁴ السيّد حسين البروجرديّ، تفسير الصراط المستقيم، صحّحه وعلّق عليه الشيخ غلامرضا بن عليّ أكبر مولانا البروجرديّ، مؤسسة أنصار بيان للطباعة والنشر، 1416 - 1995م، لا.ط، ج4، ص159.

قد لا يكون حقيقةً من الرزق، بل قد يكون إِملاءً وإِتِماءً للحجّة عليهم، كما تنتفي التساؤلات حول انعدام الرزق للمؤمن، باعتبار أنّ رزقه قد يكون معنويًا، فقد يكون ملتزمًا بأحكام الشرع، وصاحب أخلاق وطمأنينة، وعالمًا فاضلاً، أو مجاهدًا عاملاً، ولديه أولاد صالحون، إلى غيرها من الخصائص المعنوية التي يحلم بها أصحاب الثروات ولا يجدونها.

بين الرزق والسعي

يُطرح تساؤلٌ عادةً في موضوع الرزق، مفاده: هل إنّ الرزق يقبل الزيادة بالسعي والاكتساب، أم لا؟ أم إنّهُ مقسومٌ لا تنفع معه محاولات الإنسان للزيادة والتكثير. ظاهرٌ كثيرٌ من الأدلة عدمُ قبوله للازدياد والتكثير، ولو كان يُطلَب بتمام الجِدِّ، ويُسعى له في جميع الآفاق.

وصريح بعض الأدلة، وظاهر كثيرٍ منها، أنّ بعضَ أقسامه يقبل التكثير بالاكتساب، وبالحذاقة في التدبير، واقتناء المال¹.

«ولالإجابة، نذكر الملاحظتين الآتيتين:

1. دقّة النظر والتحقّق في المصادر الإسلامية، يُوضّح أنّ الآيات والروايات التي يبدو التضادّ في ظاهر ألفاظها، سواء في هذا الموضوع وغيره، إنّما ينتج من النظرة البسيطة السطحية؛ لأنّ حقيقة تناولها لموضوعٍ ما إنّما يشمل جوانب متعدّدة من الموضوع، فكلُّ آية ورواية إنّما تنظر إلى بُعدٍ معيّن من أبعاد الموضوع، فتوهم غير المتابع بوجود التضادّ.

فحيث يسعى الناس، بولعٍ وحرصٍ، نحو الدنيا وزخرف الحياة الماديّة، ويقومون بارتكاب كلّ منكرٍ للوصول إلى ما يريدونه، تأتي الآيات والروايات لتوضح لهم تفاهة الدنيا، وعدم أهميّة

¹ الشيخ الحمودي، نَحج السعادة في مستدرك نَحج البلاغة، ج7، ص328.

المال.

وإذا ما ترك الناس السعي في طلب الرزق، بحجة الزهد، تأتئهم الآيات والروايات لتبين لهم أهمية السعي وضرورته.

فالقائد الناجح، والمرشد الرشيد، هو الذي يتمكن من منع انتشار حالتي الإفراط والتفريط في مجتمعه. فغاية الآيات والروايات، التي تؤكد على أنّ الرزق بيد الله، هي غلق أبواب الحرص والشره وحب الدنيا والسعي بلا ضوابط شرعية، وليس هدفها إطفاء شعلة الحيوية والنشاط في الأعمال والاكتساب، وصولاً إلى حياة كريمة ومستقلة. وبهذا، يتضح تفسير الروايات التي تقول: إنّ كثيراً من الأرزاق إنّ لم تطلبوها، تطلبكم.

2. إنّ كلّ شيء من الناحية العقائدية، تنتهي نسبته إلى الله عزّ وجلّ، وكلّ موحّد يعتقد أنّ منبع كلّ شيء وأصله منه -سبحانه وتعالى-، ويردّد ما تقوله الآية 26 من سورة آل عمران: ﴿يَبْدَأُ الْخَيْرَ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾¹.

وبنوعي عدم الغفلة عن هذه الحقيقة، وهي أنّ كلّ شيء، من سعي ونشاط وفكرٍ وخلاقة الإنسان، إنّما هي في حقيقتها من الله -عزّ وجلّ-...

وإلى جانب كلّ ما ذكر، فالسعي والعمل الصحيح البعيد عن أيّ إفراط وتفريط، هو أساس كسب الرزق، وما يؤصل إلى الإنسان من رزقٍ بغير سعيٍّ وعملٍ، إنّما هو ثانويٌّ فرعيٌّ، وليس أساسيّ. ولعلّ هذا الأمر هو الذي دفع أمير المؤمنين (عليه السلام)، في كلماته القصار، في تقديم ذكر الرزق الذي يطلبه الإنسان على الرزق الذي يطلب الإنسان، حيث قال: «يَابْنَ آدَمَ، الرِّزْقُ رِزْقَانِ: رِزْقٌ تَطْلُبُهُ، وَرِزْقٌ يَطْلُبُكَ»².

¹ سورة آل عمران، الآية 26.

² الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، مصدر سابق، ج 8، ص 259.

تقسيم الرزق

«الرِّزْقُ رِزْقَانِ: رِزْقٌ تَطْلُبُهُ، وَرِزْقٌ يَطْلُبُكَ؛ فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَأْتِهِ، أَتَاكَ»¹.

كلُّنا عاش هذه التجربة، فقد تتوقع أن يأتيك رزقٌ من مكانٍ ما، فتسعى إليه وتبذل جهداً في الوصول إليه، ولكنك لا تصل إليه، ولكن رزقاً لا تحسب له حساباً ولا تتوقعه، يبحث عنك ليصل هو بنفسه إليك.

وتتحدث الآية الكريمة عن الحكمة في قبض الرزق عن بعض الناس: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنْزِلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾².

وتكون الحكمة من تقدير الأرزاق وتوزيعها هي امتحانُ الناس بها، وابتلاؤهم لمعرفة درجة إيمانهم، وذلك من ناحية صبرهم على الفقر، وابتلاءً لهم، واختباراً لكيفية تصرفهم في الرزق؛ فهل ينفقونه في الطاعات، أو في المعاصي، فقد ورد عن الإمام علي (عليه السلام): «وَقَدَّرَ الْأَرْزَاقَ، فَكَثَرَهَا وَقَلَّلَهَا، وَقَسَمَهَا عَلَى الضِّيقِ وَالسَّعَةِ، [فَعَدَلَ] فَعَدَلَ فِيهَا؛ لِيَبْتَلِيَ مَنْ أَرَادَ مَيْسُورَهَا وَمَعْسُورَهَا، وَلِيَخْتَبِرَ بِذَلِكَ الشُّكْرَ وَالصَّبْرَ مِنْ غَنِيِّهَا وَفَقِيرِهَا»³.

¹ الشيخ الصدوق، من لا يحضره الفقيه، مصدر سابق، ج4، ص386.

² سورة الشورى، الآية 27.

³ السيّد الرضي، نهج البلاغة (خطب الإمام عليّ (عليه السلام))، مصدر سابق، الخطبة 91، ص134.